ومعرفة اراء تلك الفئات، باستثناء شعب المخابرات، التي تنقل للحكام ما تتداوله العامة، من باب رصدها لقمعها، لا للعمل على أصلاح الخلل، الذي تعاني منه.

انطلاقاً مما تقدم، يمكن القول، إن الجهد، الذي بذله حوالي مائتي باحث عربي موزعين في عشرة أقطار عربية، للتعرف على اتجاهات الرأي العام العربي، عبر دراسة ميدانية شملت عينات من الأقطار العشرة، ومن طبقات اجتماعية متنوعة غطت تنوع تلك الطبقات،لهو جهد جدير بالتقدير. وقد جاء في مقدمة الدراسة أنها «حصاد مجهود علمي دام ثلاث سنوات، وتناولت أهم مسألة تشغل العرب في تاريخهم الحديث ألا وهي قضية الوحدة العربية (ص ١١). وقد أشرف على الدراسة الدكتور سعد الدين إبراهيم وأصدرها مركز دراسات الوحدة العربية.

والدراسة هي الاولى من نوعها في منطقتنا العربية، ومن هنا أهميتها وامتيازها. لذا من الضروري التعامل معها بجدية فيما أصابت به أو أخطأته. فلربما كانت فاتحة نحو دراسات أكثر موضوعية وشمولية للتعرف إلى الرأي العام العربي، الذي يتحدث عنه ويباسمه حكامه ومثقفوه. هذا الرأي العام بالقطع، له آراؤه في كل ما يجري حوله، به وله وعليه.

وسنعرض أولاً الموضوعات التي تناولها الباحثون والنتائج التي توصلوا إليها لنناقش من ثمّ طريقة عملهم ونتائجهم.

(أ) الموضوعات التي تناولها البحث:

الاطار النظري والمنهج (الفصل الأول): بعد مقدمة الكتاب، عرض الباحثون، في الفصل الأول منه، الإطار النظري والمنهج الذي اعتمدوه في بحثهم. ويبررون اتجاههم نحو بحث موضوع القومية العربية بانعدام «دراسة علمية موضوعية لاتجاهات الرأي العام نحو هذه المسألة» (ص ٢٢). والهدف من ذلك البحث اختبار ما اعتبر مسلماً به بالنسبة للقضية القومية فرغم «ما يقال عن أن الوحدة هي مطلب شعبي عربي، فإن الانشغال بموضوعي القومية والوحدة ظل حكراً على المثقفين والسياسيين في الوطن العربي... ان حرص السياسيين والمثقفين على الكلام، وأحياناً العمل، من أجل التضامن أو الوحدة، يأخذ اتجاهات الجماهير كقضية مسلم بها. ولكن هذه القضية، على مدى علمنا، لم تخضع للفحص العلمي التجريبي... ولا بد من المعرفة المقننة لاتجاهات القطاعات العربية الكبرى حيال هذه القضية، التي أخذت إلى الآن كأمر مسلم به» (ص ٢٤ - ٢٥).

ثم يحدد الباحثون عناصر أي اتجاه بثلاثة عناصر مترابطة «عقلاني ووجداني وسلوكي، أي فكر وشعور وعمل» (ص ٢٥). ويرون أن أي «اتجاه نحو قضية معينة لا يمكن النظر إليه في فراغ أو أحادية» (ص ٢٥). لذا بحثوا «إلى جانب دراسة الاتجاه نحو الوحدة... اتجاهات الأفراد نحو المسائل الاخرى القريبة والمتشابكة، من بين هذه الأخيرة... الديمقراطية، التنمية، فلسطين، القوى العظمى (اميركا والاتحاد السوفياتي والصين) الأقليات والدين» (ص ٢٥).

كما اهتمت الدراسة باستكشاف «موضع الفرد أو المكانة التي يشغلها في الابنية التالية: البناء الطبقي، البناء الأسري، البناء المهني، البناء الديني، البناء الحزبي أو السياسي. مجموعة «المكانات» التي يشغلها الفرد في هذه الابنية هي التي تحدد في النهاية واقعه الكلي، بما ينطوي عليه من هموم ومشكلات واهتمامات، ودرجة وعيه، وبالتالي تفسر اتجاهاته حيال المسائل العامة» (ص ٢٦).

لذا نهجت الدراسة إلى استكشاف اتجاهات الرأي العام العربي «بطريقة وصفية لعينات ممثلة لهذا الرأي العام» (ص ٢٦). محاولة التعرف إلى «نسبة المؤيدين لفكرة الوحدة العربية من حيث المبدأ، ونسبة المعارضين لها، ونسبة من هم غير مؤيدين وغير معارضين، والتعرف على درجات التأييد والمعارضة» (ص ٢٧).